بلقيس ملكة سبأ

يُرْوَى أَنَّ الملكَ سليمانَ الحكيمَ خرجَ ذاتَ يومٍ في رحلةٍ ومعه بعضُ الطيورِ الأليفةِ. وفي أثناءِ الرحلةِ تركَ الهُدْهُدُ أصحابَهُ وطارَ بَعيدًا عنهُمْ، فوصلَ إلى سماءِ مملكةِ سبأ وحلّقَ فوق قصرِ الملكةِ بَلْقيسَ، فأذهلَهُ جمالُ القصرِ وما رآه حولَ هذا القصرِ من بساتينَ خضراءَ وحدائقَ مليئةٍ بالأزهارِ ذاتِ الألوانِ التي تَخْلِبُ الألبابَ. فهبطَ هُدْهُدُ سُليمانَ إلى القصرِ وأخذَ يطوفُ حولَهُ مُسْتَمْتِعًا بفخامتِهِ وجمالِهِ. وفَجأةً وجدَ نفسَهُ أمامَ هُدْهُدٍ آخرَ يُرَحِّبُ به قائلا:

- أنا هدهدُ الملكةِ بلقيسَ. فأهلاً وسهلاً بك في بلادِنا الجميلةِ، أرى أَنَّ قصرَ سيدتي أَعْجَبَكَ!

فأجابَ هدهدُ سُليمانَ:

- نعم إنه لَقصرٌ جميلٌ حقًّا وبلادُكم كُلُّها جميلةٌ، غير أن هذا لا يَعني أن سَيِّدَتَكُمْ أعظمُ شأْنًا من سَيِّدي سُليمانَ.

فسألَ الهدهدُ الآخرُ مستغربًا:

- وَمَنْ سليمانُ هذا؟

فأجاب هدهدُ سليمانَ:

- إنه مَلِكٌ عظيمٌ يَعْرِفُ لُغَةَ الجِنِّ والطيرِ والحيوانِ. فَمَنْ تكونُ

سَيدتُكم؟

فأجابَ هدهدُ بلقيسَ:

- إنها الملِكةُ بلقيسُ أجملُ نساءِ قَوْمِها، تجلسُ على عرشِ سبأ وتملكُ خزائنَ الذهبِ والفضةِ.

فقال هدهدُ سُليمانَ:

- لم أسمعْ بِاسْمِ سبأ مِنْ قَبْلُ، فنحنُ نُطْلِقُ على هذه البلادِ اسمَ «اليمن».

فَرَدَّ عليه هدهدُ بلقيسَ:

- نعم هذه بلادُ اليمن وسبأ اسمُ قومٍ أثرياءَ يَتَنَقَّلونَ بِتجارَتِهِمْ في جميعِ البلدانِ. وهم يعبدون الشمسَ والقمرَ وآلِهَةً أُخرى (نشأت دولةُ سبأ قديمًا وقَبْلَ مَجيءِ الإسلامِ بكثيرٍ). وقد نَصَرتِ الآلهةُ قومَ سبأ، فانتصروا على القومِ الذين كانوا قَبْلَهم في هذه الديارِ، وَبَنَوا مملكةً عظيمةً. أنظر إلى هذهِ البناياتِ الشاهقةِ (العالية).

إنها شاهدٌ على عَظَمَةِ مملكةِ سبأ.

فَسَأَلَهُ هدهدُ سُليمانَ:

- وما اسمُ هذهِ المدينةِ؟

فأجاب هدهدُ بلقيسَ:

- إنها «مأربُ» عاصمةُ المملكةِ.

ثم أشار بيده إلى سَدٍّ عظيمٍ وقالَ:

- أُنظُرْ إلى هذا السَّدِّ المَنيعِ! إنَّهُ سدُّ مأربَ العظيمُ! إنَّهُ يخزنُ المياهَ الوفيرةَ لِرَيِّ المزروعاتِ والحدائقِ والبساتينِ اليانعةِ.

فعجبَ هدهدُ سُليمانَ مِمَّا رَأَتْهُ عيناهُ وعادَ إلى سَيِّدِهِ وأَخبرَهُ عَمَّا شاهَدَهُ في مملكةِ سبأ، وَحدَّثَهُ عن عظَمَةِ المملكةِ ومَلِكَتِها. وسيطرَ حُبُّ الاستطلاعِ على الملكِ سليمانَ ورغبَ أن يتعرَّفَ على الملكةِ بلقيسَ فكتبَ إليها كتابًا (رسالة) يدعوها فيه إلى عِبادةِ اللهِ وَتَرْكِ عِبادةِ النجومِ، كما دعاها إلى زيارةِ البلادِ المقدَّسةِ وبَعَثَ هذا الكتابَ مع الهُدْهُدِ.

حملَ الهدهدُ الرسالةَ وطارَ في السماءِ حَتَّى وصلَ إلى بلادِ سبأ فَحلَّقَ فوقَ رأسِ بلقيسَ وألقى الكتابَ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَدُهِشَتِ الملِكَةُ ولم تُصَدِّقْ ماتَراهُ عيناها، وزادت دَهْشَتُها حينَ قرأتِ الكتابَ. فَجَمَعَتْ زُعَماءَ قَوْمِها لِتَسْتَشيرَهم في دعوةِ الملكِ سليمانَ، وما يَجِبُ عليها أنْ تَفعَلَهُ وكيف تَرُدُّ عليه.

وبعد أَنْ تشاورَ القومُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، قالوا لِلمَلِكَةِ: أَيَّتُها الملكةُ، إنَّ سليمانَ ملكٌ قويٌّ وهو طامعٌ في بلادِنا ونحن لن نَدَعَهُ يُحَقِّقُ هَدَفَهُ، فَأْمُرينا أن نَخْرُجَ لِقِتالِهِ. أَمَّا بلقيسُ فقد أَطْرَقَتْ قليلًا (سكتت ولم تتكلمْ)، وبعد تفكيرٍ عميقٍ قَرَّرَتْ أن تَلْجَأَ إلى الحيلةِ، فقالت لِمُسْتشاريها:

- قد تكونون على حَقٍّ فِيما تَرَوْنَهُ، ولكن عواقبَ الحربِ وَخِيمَةٌ (رديئةٌ ومُضرَّةٌ) وقد تعودُ علينا بِالدَّمارِ، غيرَ أَنَّني وَجَدْتُ خُطَّةً أُخرى غيرَ الحربِ. ووقفَ الرجالُ مُتَسائلين:

- وما هي هذه الخطةُ ياتُرى؟

فقالت بلقيسُ:

- سأُرسِلُ إليه هَدِيَّةً فإذا قَبِلَها، كان هذا دليلًا على احترامِهِ لنا وَلِقُوَّتِنا، وإذا رَفَضَها كانَ علينا أن نُفكِّرَ في الأمرِ.

وبَعَثَتْ بلقيسُ الرُّسُلَ إلى المدينةِ المقدَّسةِ لِيُقَدِّموا هَدِيَّةً ثمينةً إلى الملكِ سليمانَ وطلبتْ إليهم أن يَتعَرَّفُوا على أحوالِ هذا الملكِ، وعندما وصلوا إليه وقفُوا بين يَدَيْهِ قائلِينَ:

- هذه الهديةُ من مَلكتِنا بلقيسَ إلى سليمانَ الملكِ!

أما سليمانُ فقد رفضَ الهَديَّةَ قائلًا:

- إن اللّهَ أعطاني مُلْكًا وأموالًا تُغْنِيني عن كُلِّ هَدِيَّةٍ. فَعُودوا إلى بلادِكم وَأَعِيدوا الهَدِيَّةَ إلى مَلِكتِكُمْ.

عاد الرُّسُلُ من حيثُ أَتَوْا وَأَخْبَروا مَلِكَتَهُمْ بما شاهدوا وما سَمِعُوا، وعندها وجدتْ بلقيسُ أَنْ لا مَنَاصَ (لا مَهْرَبَ) لها مِنَ الذَّهابِ إلى سُليمانَ، وقَرَّرَتْ أن تُلَبِّيَ الدَّعوةَ وأَعَدَّتْ نفسَها للسفرِ إلى القدسِ.. «زهرة المدائن».